

ألفاظ الألوان في اللغة العربيّة

د. أحمد مختار عمر

ملخص

يرى فريق من اللغويين أن اللغات تكتسب ألفاظ ألوانها بصورة تدريجية، وبطريقة تشترك فيها كل اللغات. وقد حصر بعضهم الاحتمالات الواقعية لتجمعات ألفاظ الألوان فوجدها ٢٢ احتمالا.

وقد خضعت اللغة العربية في تاريخها الطويل لتطورات تتعلق بألفاظ ألوانها الأساسية فكانت أولا خمسة ألفاظ هي: الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر. ثم أصبحت تسعة هي السابقة بالإضافة إلى الأزرق والأدكن (البنّي) والأرمد (الرمادي) والأسمر. وزادت كثيرا في العصر الحديث حتى شملت ألفاظا مثل البرتقالي والأرجواني..

ومن يتابع ألفاظ الألوان في معاجنا العربية يجد تداخلا غريبا بينها سمح باستخدام الأزرق بمعنى الأبيض، والأخضر. وإطلاق الأصفر والأخضر على الأسود. وإطلاق الأحمر على الأبيض والأصفر.

وكما وجدت في اللغة العربية ألفاظ ألوان أساسية، فقد وجدت فيها ألفاظ ثانوية لا تكاد تقع تحت حصر.

وتتميز اللغة العربية باستخدامها صيغاً معينة للألوان. فمن صيغها الوصفية وزن افعل (أدكن) وفعل (خضور) وفعل (خضير) للدلالة على ثبات الصفة وشدة لصوقها بالموصوف. وصيغة اسم المفعول (موزد) للدلالة على طروء الصفة وحدوثها بمعالجة. وصيغة اسم الفاعل (فاحم) للدلالة على طروء الصفة وحدوثها دون معالجة. وصيغة النسب (ترابي) للإشارة إلى معنى التشبيه... أما الصيغ الفعلية فمنها الثلاثي المجرد من بناب فرح، ويقل من باب كرم. ومنها مزيد الثلاثي على وزن افعل (اخضر)، وافعل (اخضار)، وافعل (اخضوض).

وقد وجدنا من البحث أن كثيراً من ألفاظ الألوان في العربية مشتقة من مصادر طبيعية كالمعادن (فاحم) والنباتات (أشقر)، والحيوانات والطيور (غرابي) .. وغير ذلك.

١ - نظرة عامة :

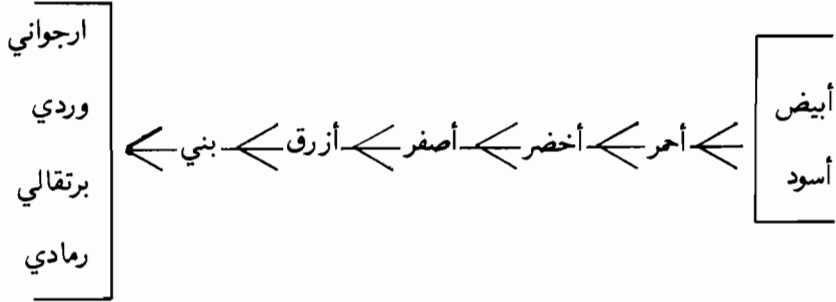
تستخدم كل لغة ألفاظاً للتعبير عن الألوان تشتقها غالباً من المحسوسات والموجودات في البيئة المحيطة. وتختلف اللغات في عدد ألفاظ الألوان الأساسية، وفي إحساسها بأطراف الألوان ومشتقاتها، مما يجعل الخلاف أوسع في التعبير عن ظلال الألوان، أو الألوان الفرعية (١).

وقد طرحت عدة افتراضات فيما يتعلق بتطور ألفاظ الألوان ونموها على مر العصور:

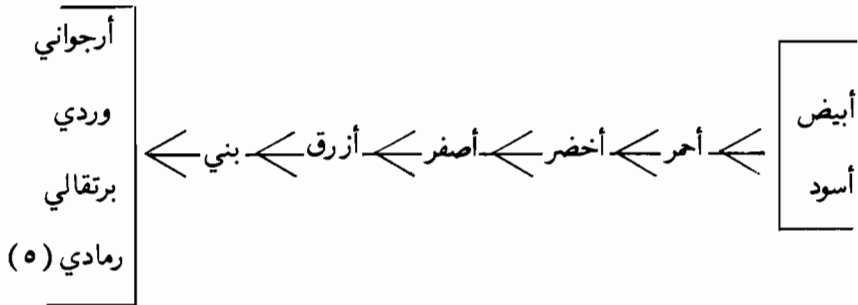
١ - فيري Berlin و Kay أن هناك تنابحاً محدداً لمراحل النمو والتطور لا بد أن تكون اللغة قد اجتازته حين أرادت تنمية ألفاظ ألوانها الأساسية (٢).

وقد توصل المؤلفان بعد دراسة الألوان في ثمان وتسعين لغة إلى فرضية جريئة هي أنه يوجد طاقم عالمي من الألوان يصل إلى أحد عشر لوناً تأخذ كل لغة منه مجموعتها الخاصة (٣).

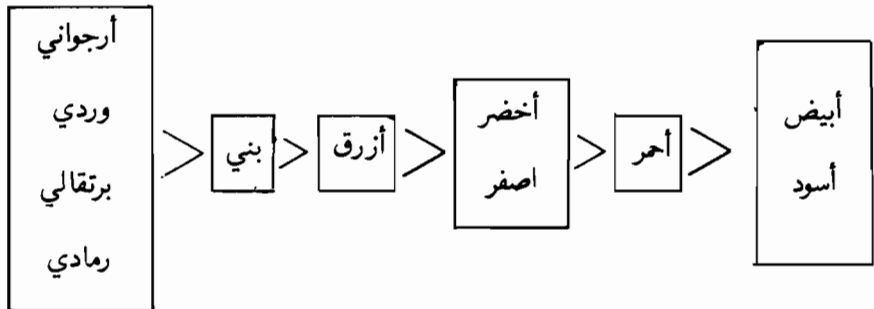
وقد افترض المؤلفان أن تكون الفاظ الألوان قد سارت في نموها إما هكذا :



أو هكذا : (٤)



ويمكن توضيح العلاقة التنظيمية بين هذه الالوان بالشكل الآتي :



حيث تعني العلامة > عالمية مشروطة، وتفسر كالآتي : بالنسبة لأي
تتابعين من الألوان [خ] و [ي] فإن [خ] > [ي] يعني أنه اذا كانت لغة
تحتوي على [ي] فانها يجب ان تحتوي على [خ]. (٦)

وحصر Berlin و Kay الاحتمالات الواقعية لتجمعات الألوان فوجداها ٢٢
احتمالا يوضحها الجدول الآتي : (٧)

التموزج	عدد الألوان	الأبيض	الأسود	الأحمر	الأخضر	الأصفر	الأزرق	الأدكن (البنّي)	الوردي	الأرجواني	البرتقالي	الأرمـد (الرمادي)
١	٢	+	+									
٢	٣	+	+	+								
٣	٤	+	+	+	+							
٤	٤	+	+	+		+						
٥	٥	+	+	+	+	+						
٦	٦	+	+	+	+	+	+					
٧	٧	+	+	+	+	+	+	+				
٨	٨	+	+	+	+	+	+	+	+			
٩	٨	+	+	+	+	+	+	+		+		
١٠	٨	+	+	+	+	+	+	+			+	
١١	٨	+	+	+	+	+	+	+				+
١٢	٩	+	+	+	+	+	+	+	+			
١٣	٩	+	+	+	+	+	+	+	+		+	
١٤	٩	+	+	+	+	+	+	+		+		+
١٥	٩	+	+	+	+	+	+	+	+		+	
١٦	٩	+	+	+	+	+	+	+		+		+
١٧	٩	+	+	+	+	+	+	+		+	+	
١٨	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+		+	
١٩	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+		+
٢٠	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+		+	+
٢١	١٠	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	
٢٢	١١	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+	+

٢ — وقد سبق L. Gerger كلا من Berlin و Kay في افتراض تتابع عالمي آخر في اكتساب ألفاظ الألوان حيث حدد ست مراحل لتطور ألفاظ الألوان على النحو التالي :

المرحلة الاولى : وفيها ميز الإنسان لونا واحدا جمع بين الاسود والاحمر.
المرحلة الثانية : وفيها ميز الإنسان بين اللونين الاسود والاحمر.
المرحلة الثالثة : وفيها أضاف الإنسان اللون الأصفر (وكان يشمل كذلك الأخضر). أما الأبيض فكان مضمنا في الأحمر.
المرحلة الرابعة : وفيها ظهر اللون الأبيض.
وفي المرحلة الخامسة : ظهر اللون الأخضر.
وفي المرحلة السادسة : استخدم اللون الأزرق.

٣ — وقدم Rivers افتراضا ثالثا لتتابع الألوان استقاه من دراسته للغات القبائل البدائية وهذا التتابع يضم :

المرحلة الاولى : وكان فيها ثلاثة ألفاظ :

أ — واحد يدل على الأسود والأزرق والنيلي والبنفسجي .

ب — واحد يدل على الأبيض والاصفر والأخضر .

ج — واحد يدل على الأحمر والأرجواني والبرتقالي .

أما المرحلة الثانية : فقد أضافت لفظا للأصفر .

وأضافت المرحلة الثالثة : خمسة مصطلحات : أسود — أبيض — أحمر — أصفر — أخضر .

أما المرحلة الرابعة : فقد أضافت لفظا للأزرق (٨) .

٤ — وهناك رأي يقابل الآراء الثلاثة السابقة حيث ينفي وجود تتابع عالمي معين تسيّر فيه اللغات ، و يرى أن ترتيب وجود الألوان يخضع لأهمية اللفظ في ثقافة الأمة .

ولذا فإن ظهور لفظ ما للدلالة على لون ما في لغة معينة إنما يعد خاصية ثقافية لهذه اللغة . (٩) كما أن وجود ألفاظ قليلة للألوان عادة ما يدل على ثقافة بسيطة وحياة عملية ساذجة ، والعكس صحيح . (١٠)

٢ - ألوان اللغة العربية :

هناك صعوبات كثيرة تواجه من يريد ان يدرس الفاظ الالوان في اللغة العربية منها :

١ - عدم إمكانية ترتيب المادة المفحوصة تاريخياً إلا اذا رجع الباحث إلى مادة علمية مؤرخة ، وهيئات أن يتيسر له ذلك .

٢ - عدم دقة المعاجم في تحديد مدلولات الألفاظ .

٣ - اختلاف مدلول اللفظ من عصر إلى عصر ، دون أن تنبه المعاجم إلى ذلك ، واختلافه كذلك من موصوف إلى موصوف .

٤ - ان ألفاظ الألوان في اللغة العربية لم تخضع لدراسة علمية حتى الآن تميز بين الألفاظ الأساسية والألفاظ الثانوية ، وتقوم بمحصر ألفاظ الألوان الواردة في المعاجم العربية ، وفي التراث العربي القديم .

٥ - أن الأمور زادت تعقداً في العصر الحديث بعد اختراع الصبغات الصناعية وتعدد الألوان تبعاً لذلك . وقد أدى هذا إلى إيقاع الفوضى في ألفاظ الألوان ، لا في اللغة العربية وحدها ، بل في كل اللغات . فقد أدى تعدد الألوان وتنوعها اللامحدود إلى وضع ألفاظ جديدة تارة ، واستخدام ألفاظ قديمة في مدلولات جديدة تارة واقتراض أو تعريب ألفاظ للدلالة على الألوان المستحدثة تارة .

ولن نستطيع في هذه العجالة أن نقدم الحلول لكل المشكلات المطروحة ، ولكننا سنحاول أن نعالج بعض القضايا المتعلقة بألفاظ الألوان في اللغة العربية تاركين بعضها الآخر لبحوث مستقبلية . والقضايا التي سنعالجها هي :

١ - ألفاظ الألوان الأساسية .

٢ - ألفاظ الألوان الثانوية .

٣ - ألفاظ الألوان والمصادر الطبيعية . .

أولاً : ألفاظ الألوان الأساسية

وضع Berlin و Kay في كتابهما Basic Colour Terms أسساً للتمييز بين مفردات الألوان الأساسية ، ومفردات الألوان الثانوية ، حيث اشترطاً في الألوان الأساسية ما يأتي :

١ — أن يكون اللفظ مكوناً من وحدة واحدة ، ولا يمكن التنبؤ بمعناه من معنى كل جزء من أجزائه (بخلاف Blue - Green مثلاً) . .

٢ — ألا يكون معنى اللفظ متضمناً في معنى لفظ آخر (بخلاف لفظ قرمزي المتضمن في لفظ أحمر) .

٣ — ألا يكون اللفظ محدد الاستعمال بموصوف معين (بخلاف لفظ Blonde الذي يستخدم غالباً وصفاً للشعر) .

٤ — أن يكون اللفظ شائعاً ومستقراً في الاستعمال بصورة تضمن له الوجود في أي قائمة استقرائية للألوان .

كما أنها وضعا معايير للألفاظ الثانوية نذكر من بينها :

١ — أن يكون اللون المستخدم اسماً لشيء قبل استخدامه وصفاً للون .

٢ — أن يكون من الألفاظ الحديثة الاقتراض . (١١) .

وقد تنبه ابن سيده إلى شيء من هذا في معجمه «المخصص» إذ قال : « للألوان الثلاثة : أحمر وأسود وأبيض أسماء مستعملة قريية . وأخيراً إضافة إليها وحشية غريبة ، لا تدور في اللغة مدارها ، ولا تستمر استمرارها . ألا ترى أن قولنا أبيض وأحمر وأسود من اللفظ المشهور ، وقولنا في الأبيض ناصع ، وفي الأحمر قُمْد وفي الأسود غريب من الأفراد التي رفعت عن الابتذال وأودعت صواناً في قلة الاستعمال ، ومع أنك لا تجدّها في غالب الأمر إلا تابعة للألفاظ المشهورة . يقولون : أبيض ناصع ، وأحمر قُمْد ، وأسود غريب . وإن كان قد يستعمل مفرداً كقوله : بالحق الذي هو ناصع .

وكقوله : وبقْمَد كسائل الجر يال (١٢) .

وكان النحري في كتابه «الملمع» أكثر تحديداً وموضوعية من ابن سيده حين اعتبر الألوان الأساسية في اللغة العربية خمسة هي : الأبيض والأسود والأحمر والأصفر والأخضر ، ووصفها بأنها هي النواضع الخواص من بين جميع الألوان . ولم يعتبر هذا خاصاً باللغة العربية وحدها ، وإنما اعتبره عاماً في كل اللغات حيث قال : «إن الله خلق الألوان الخمسة ..» (١٣) .

وبمقارنة النموذج الذي اقترحه النحري نجده يتطابق مع النموذج رقم ٥ في نماذج

Kay و Berlin .

وقام النمري بعد هذا برد سائر الألوان إلى واحد من هذه الخمسة قائلا : « فإن قال قائل : فأين الغبرة والسمرة والزرقة والصحمة والشقرة وأشكالهن من الألوان قيل : هذه الألوان ليست نواصع خواص ، وكل يرد إلى نوعه . فالغبرة إلى البياض ، والسمرة إلى السواد ، والزرقة إلى الخضرة والصحمة إلى الصفرة ، والشقرة إلى الحمرة » (١٤) .

ثم أكد استنتاجه قائلا : « العرب عمدت إلى نواصع الألوان فأكدتها ، فقالت أبيض يقق ، وأسود حالك ، وأحمر قانيء ، وأصفر فاقع ، وأخضر ناضر » (١٥) .

وفي رأيي ان النموذج الذي طرحه النمري قد يقبل على أنه يمثل مرحلة مبكرة من مراحل اللغة العربية القديمة . أما في فترة لاحقة فلا بد أن يكون العرب قد ميزوا بين عدد أكبر من الألوان ، فزاد عدد الألوان الأساسية تبعاً لذلك . وربما كان أقرب النماذج التي صارت إليها اللغة العربية هو النموذج رقم ١١ ، وإن لم تطابقه اللغة العربية تمام المطابقة ، كما أنها لم تطابق أياً من النماذج الأخرى المطروحة . فقد خلعت كل النماذج التي قدمها Berlin و Kay من اللون الأسمر نظراً لخلو كثير من اللغات الأوروبية من لفظ يدل عليه . وإذا كان هذا مبرراً بالنسبة لبيئات يقل أو ينعدم فيها هذا اللون فلا يمكن تجاهله في بيئة كالبينة العربية ، للسمرة فيها أهمية خاصة ، نظراً لغلبتها على لون البشرة (١٦) . ولذا لا بد من إدخال السمرة في الألوان الأساسية في اللغة العربية (١٧) .

فإذا أضفنا إلى النموذج رقم ١١ اللون الأسمر لصارت ألوانه تسعة ، وهي الألوان التي نقدر أساسيتها في اللغة العربية الوسيطة وهي :

أبيض — أسود — أحمر — أخضر — أصفر — أزرق — أدكن (بني) — أرمم (رمادي) — أسمر .

أما الألوان : وردي — أرجواني — برتقالي فلم ترد في لغة العرب . وقد ورد لفظ « ورد » (١٨) — بدون نسبة — و « أرجوان » (١٩) — بدون نسبة — وكلاهما استعمل اسماً وصفة في الوقت نفسه ، وينطبق عليه معيار الصفة الثانوية رقم (١) الذي يقول : أن يكون اللون المستخدم اسماً لشيء قبل استخدامه وصفاً للون ، كما ينطبق عليها معيار آخر للفرعية ، وهو اندراجها تحت معنى لفظ آخر (وهو الأحمر) . أما لفظ « برتقالي » فهو مستحدث لأنه منسوب إلى البرتقال المأخوذ من إسم العلم « برتغال » . ولم يعرف العرب هذه الفاكهة ولذا لم ترد في معاجهم القديمة ، كما لم ترد في مفردات ابن البيطار وغيره (٢٠) . كما أنه لا يوجد لفظ في ألفاظ الألوان العربية

يؤدي مدلوله بدقة . ولعلمهم اكتفوا باللون الأحمر الذي توسعوا في استخداماته ، وعددوا من ظلاله ودرجاته حتى كثرت ألفاظه الفرعية بشكل لافت للنظر لا ينافسه فيه سوى اللون الأسود .

ورغم وضوح مدلولات الألفاظ الأساسية في العصر الحديث فقد كان بينها نوع من التداخل عند العرب القدماء ، وهو تداخل يرد إلى التطور الطبيعي الذي لحق ألفاظ الألوان في اللغة العربية ، وإلى اتجاه العرب إلى التخصص بعد التعميم . ومن أمثلة هذا التداخل ما ورد في كتب اللغة عن الألوان الآتية :

الأزرق :

ورد الأزرق بمعنى الأبيض وبمعنى الأخضر . كما وردت الزرقة وصفاً للسماء وللأسنة . وورد هذا اللون في القرآن الكريم مرة واحدة في قوله تعالى : « ونحشر الجرمين يومئذ زرقاً » ، وفسر بأن سواد الحديقة يزرق عند من يذهب نور بصره . وورد في « الإنصاح » أن الزرقة في العين خضرة في سوادها أو أن يتغشى سوادها بياض (٢١) .

الأصفر :

ورد في كتب اللغة تفسيراً له :

١ — لون معروف .

٢ — الصفرة للسواد .

٣ — الصفرة لون دون الحمرة .

وقد فسر قوله تعالى : « جمالة صفر » على معنى إبل سود ، وكذلك قول الأعشى :

تلك خيلي منه وتلك ركابي
هَنَ صفر أولادها كالزبيب

وقال ابن قتيبة وأبو عبيدة إن الصفراء في قوله تعالى : « صفراء فاقع لونها » هي السوداء . (٢٢) .

الأسود والأبيض :

لم يختلف تفسيرهما القديم كثيراً عن الحديث . فقد أطلق العرب السواد على جماعة النخل ، وعلى الشجر لخضرته ومقاربة الخضرة للسواد . واستخدموا الأسود اسماً للتمر ، والحرّة ، واللبل للبحر صفه السواد فيها . كما أطلقوه على الماء مع التمر تغليباً . ولكن الغريب أن يطلقوا كذلك الأسودين على الماء واللبن ، وعلى الماء والفت .

أما البياض فقد أطلقوه على الماء ، والشحم ، واللبن . وغلبوه في مثل قولهم :
الأبيضان : الماء والخنطة — الشحم والشباب — الخبز والماء ...

وتوسعوا في استخدام البياض فأطلقوه على الإشراق والإضاءة ، فوصفوا به ليالي
الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، ووصفوا به الأرض إذا كانت ملساء لا نبت
فيها ، والجلد إذا كان بغير شعر . كما استخدموا البياض في مقام المدح بالكرم ونقاء
العرض . واستخدم بياض الوجه للإشارة إلى نقائه وصفائه وأشراقه ، ومنه قوله تعالى :
« وأما الذين أبيضت وجوههم ففي رحمة الله » (٢٣) .

الأخضر:

وردت الخضرة بمعنى السواد ، ووردت بمعنى السمرة في ألوان الناس ، وبمعنى
الغبرة في ألوان الإبل والخيول . وأطلق العرب على السماء : الخضراء (مما يدل على
تداخل هذا اللون مع الأزرق في مرحلة ما) . ووردت الخضرة وصفاً للماء والبحر
والكتيبة والحديد وغيرها . وقد استعمل القرآن الكريم « الأخضر » بالمعنى الذي
نستعمله فيه حالياً ، وذلك في قوله : « الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً » ،
وقوله : « وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات » (٢٤) .

الأحمر:

اعتبره ابن سيده من الألوان المتوسطة ، وقد ورد اللفظ في المعاجم — إلى جانب
معناه المعروف — بمعنيين آخرين :

١ — فقد ورد بمعنى الأبيض ، فأطلقه العرب وصفاً للماء ، وورد في الحديث : بعثت
إلى الأحمر والأسود . والعرب تقول : امرأة حمراء ويعنون : بيضاء : والعرب
تطلق على الأبيض : أحمر إذا أرادت لون الأبيض . أما لفظ « أبيض »
فتستعمله للدلالة على الطهر والنقاء ، أو تطلق الأحمر على الأبيض لأن البياض
يقع على البَرَص .

٢ — كما ورد بمعنى الأصفر ، إذ أطلقه العرب على الذهب والزعفران ، فسموها
الأحمران (٢٥) .

ثانياً : ألفاظ الألوان الثانوية

يقول شفيق جبيري في مقال له بعنوان « لغة الألوان » : فقه لغتنا دون ألفاظاً
« عن تفصيل الألوان وتقسيمها وترتيبها مما لا نظير له في كثير من اللغات على ما

أظن . و يقول نقلاً عن لويس هورتيك في كتابه « الفن والأدب » : « العرب حينما يصفون أقمشتهم يستخدمون تعابير تصويرية مشتقة من مفردات تذكرنا بأوراق الزهر والحجارة الكريمة ولعة الحرير وبريق السماء ، وتمكنهم من بيان الفروق الضئيلة في مجموع الأصباغ » (٢٦) .

وإذا كان هذا أصدق ما يكون على لغة العصر الحديث ، فإنه لا يبعد كثيراً عن لغة العرب القدماء ، فقد بلغت ألفاظ الألوان الثانوية والتفريقية في كتب فقه اللغة والمعاجم عدة مئات ، بعضها للتعبير عن درجات الألوان ، وبعضها لوصف اللون وصفاً مميزاً وبعضها للإشارة إلى طروء اللون وعدم ثباته .

وسنعرض الآن لبعض هذه الألفاظ مبينين دقة العرب في ملاحظة درجات الألوان ، وفي التعبير عن ظلالها .

الحمرة :

للتعبير عن درجات الحمرة أطلق العرب لفظ « أرجوان » للشديد الحمرة ، و « البهرمان » لما دونه بشيء في الحمرة . كما أطلقوا لفظ « لقدم » للمشبع حمرة ، و « المضرج » دونه ، و « المورّد » بعده . واستخدموا « الملهّب » لما لم تشبع حمرة من الثياب . (٢٧) .

وأحياناً يستخدمون الوصف للدلالة على درجة الحمرة ، فيقولون : أحمر أرجوان للمبالغة ، كما يقولون : أحمر قانيء ونكع وعاتك وذريحي وثقيب وحانط وغضب .. للشديد الحمرة ، ويقولون : أحمر ناصع ونضاع ويانع وزاهر وناضر إذا كانت الحمرة صافية خالصة مشرقة ، ويقولون : أحمر قاتم للحمرة التي تضرب إلى السواد . ويقولون أحمر فاقع وفقاعي للخالص الحمرة أو الشديدتها .

ووضعوا للحمرة مع السواد ألفاظاً مثل : (٢٨)
أسفع (أسود مشرب حمرة) .
غسيق (أسود مشرب حمرة) .
أحسب (أسود يضرب إلى الحمرة) .
أحوى (أحمر إلى سواد) .
أدبس (لون بين السواد والحمرة) .
أصبح (سواد إلى حمرة) .
كميت (حمرة يخالطها سواد) .

وللحمرة اذا خالطتها صفرة قالوا :
أخطب (غبرة أو صفرة تخالطها خضرة أو حمرة) .
أصهب (صفرة تضرب إلى الحمرة والبياض) .
أكهب (صفرة تضرب إلى حمرة) .

وللحمرة اذا خالطها بياض قالوا :
أشقر (حمرة تعلو بياضا في الانسان ، او بياض تعلوه حمرة) .
أزهر (بياض تخالطه حمرة) ومثله أصهب وأقهب .
فقاعي (حمرة يخالطها بياض) .
أعفر (بياض تعلوه حمرة فيصير كلون العفر) .

السواد :

استخدم العرب للدلالة على السواد عشرات الكلمات ، منها ما يدل على مجرد اللون ومنها ما يدل على المبالغة والشدة ، ومنها ما يرتبط بموصوف معين ، ومنها ما يشير إلى لون آخر اختلط بالسواد . كما انهم وصفوا السواد بمجموعة من الصفات ترتبط به وحده ، أو به مع غيره .

فاستخدموا للأسود الصرف أو الشديد السواد كلمات مثل :

حَلِيب — حَلُوب — حُلُوب — أَدَجَن — أَدَعَج — أَدَم — أَدَغَم — أَدَهَم —
أَسْحَم — أَطْلَس — فَاَحَم — فَحِم — أَبْغَس — بَهَم — حَالِك — مَحْلُولِك — أَحَم —
يُحْمَم — حَلَكَم — جِمَحَم — حُمَام — حَانِك — دُغَمَان — سُحْكُوك — أَسْحَمَان —
عَلْجَم — عَلْجُوم — عُرَابِي

وللأسود القبيح استخدموا :

سُخَام — سُخَامِي — أَسْخَم — دُخْسَمَان — زُمُج — زُومَح — كِلَع ...

وللأسود العظيم استخدموا :

دُخْسَمَان — دَحَامَس — دُخْسَم — دَخْسَمَانِي — دَخَامَش ...

ووصفوا السواد بصفات مثل :

أَسُود حَالِك للمبالغة في السواد . وكذلك أَسُود أَحَم وفَاَحَم وَقَاتَم وَغَرِيب وَخُدَارِي
وَدَجُوجِي وَدِيجُوج وَدِيجُور وَدَامِج وَمَسْحَنَك وَمَصْلَحَم وَمَعْلَنَكْس وَمَعْلَنَك .

وخصوا الليل إذا كان أسود حالكا بصفات منها :
دَجُوجٌ ودَجُوجِيٌّ ودُجَاجِيٌّ ودَجْدَاجٌ وأسَدَفٌ .

وفي سواد الشفة استعملوا اللبس فهي لعماء (و يصح تعميم اللون في الجسد كله)
واللَمَى فهي لمياء . وسموا الأسود الشفتين : الأظْمَى .
ومع سواد الشعر استعملوا : الغدافي والفحيم .
وعبروا عن السواد مع الشحوب في الوجه بلفظ : أسْفَعُ .
وعبروا عن السواد إذا مال الى الخضرة بكلمات مثل : أحوى وأقهب وقهب .
عن السواد إذا اختلطت به الصفرة بكلمات مثل : أصحم .
وإذا اختلطت به الحمرة بكلمات مثل : أصدأ .
وعبروا عن اللون بين السواد والغبرة بلفظ أطلس وكدير وأكدر .
وعن السمرة إذا تجاوزت إلى سواد أو عن السواد الخفيف بالأصحم والأطهم
والأقتم والقاتم .

البياض :

استخدم العرب للدلالة على اللون الأبيض عشرات الكلمات بصورة تكشف الدقة
وعن درجات اللون ، أو اختلاطه بغيره .

ومن ذلك : الأزهر لمن كان بياضه عتيقا نيرا حسنا ، وهو أحسن البياض .
وقريب منه : الأغَرّ والأقَر . وعكسه : اللَهَق واللَهَق ، وهو ما كان بياضه بدون بريق .
وأطلق العرب على الأبيض الخالص ألبياض وصف النعج والناعج والصَّرَح
والخَر .

وأطلقوا على الأبيض الذي تعلوه كدرة : قهبلِس .
وعلى الأبيض الذي يخالط بياضه حمرة : الأَقْهَب .
وعلى الأبيض المشوب بالسواد مع غلبة البياض : الأَمْلَح .
وعلى الأبيض القبيح البياض : الأَمَقَّة والأَمْهَق والمُغَرَّب ، وقريب منه الأمره .
ووصفوا الأبيض بصفات كثيرة منها قولهم :
أبيض قهد إذا كان نقى البياض ، وقريب منه أبيض ناصع للخالص الصافي .
وقالوا في الأبيض الشديد البياض : أبيض لَهَق ولَهَق ولَهَاق ولَهَاق .
فإذا بولغ في وصفه بالبياض قيل : أبيض يَنْقُ وَيَلْقُ ولياح ولياح .
فإذا كان البياض ذا بريق قيل : أبيض ووباص وَبَرَّاق وُدْمَص وُدْلَامَص
وُدْمَلَص وُدْمَالَص . (٢٩)

ثالثاً : صيغ الألوان

تعددت صيغ الألوان في الاستعمال العربي القديم، سواء كان التعبير بالصفة أو بالفعل. ولم يكن تعداد الصيغ امراً جازعاً أو اعتباطياً، وإنما كان يهدف الى تحقيق الدقة في التعبير، وإضافة معنى جديد على مجرد اللون، مثل تجدد اللون، أو ثباته، أو لمح معنى التشبيه فيه، أو المبالغة... أو غير ذلك.

الصيغ الوصفية :

على الرغم من غلبة استخدام وزن «أفعل» للدلالة على صفة اللون فإننا لا يمكن أن نوافق على ما قيل عن دلالة هذا الوزن على أساسية اللون. (٣٠) ولو أننا قبلنا هذا التفسير لوجب علينا أن ندرج تحت الألوان الأساسية عشرات من الألوان وردت الصفة منها على وزن «أفعل» ولكنها تعد من الألوان الثانوية، أو من تفرعات الألوان.

أما السر في استخدام الصيغة فهو أن العرب فرقت بين :

- ١ — ثبات الصفة وشدة لصوقها بالموصوف، واستخدمت لذلك أوزاناً متعددة من الصفة المشبهة أو صيغ المبالغة غلب عليها وزن «أفعل».
- أ — فثال وزن أفعل : أصبح — أصحم — أربد — أغثر — أرمد — أمهق — أدكن — أسفع — أكلف — أدبس — أدهس — أطحل — أقهب — آدم — أدم — أسمر — أدخن — أشقر — أزهر — أصدأ — أمقر.. الخ
- ب — ومثال وزن فعول : حلوب — خضور...
- ج — ومثال وزن فعيل : غسيق — ثقيب — بهيم — خضير — دكين...
- د — ومثال وزن فاعل : نكع — كلع — حلب — خضر...

- ٢ — طرء الصفة مع حدوثها وفعل فاعل خارجي، واستخدمت لذلك صيغة اسم المفعول مثل : مُتَبَّن — مُغَرَّب — مُشَبَّع — مُشَرَّق — مُضَرَّج — مُورَّد — مُفَدَّم — مُلَهَّب — مُفَضَّض — مُمَرَّر..

- ٣ — طرء الصفة مع حدوثها دون معالجة، واستخدمت لذلك صيغة اسم الفاعل مثل : وابص — ناعج — حالك — حانط — محلنكك — مسحكك — حانك — فاحم — زاهر — عاتك..

٤ — الإشارة إلى معنى التشبيه في اللون، واستخدمت لذلك ياء النسب مثل : ترابي — عُرابي — عُدا في (الغدا ف : الغراب) ب — ورسى — فُقاعي — ذريحي — مَضْرَحِيّ — عرسي (نسبة الى ابن عرس).

٥ — الدلالة على المبالغة في الوصف، وأطلقت في ذلك لفظ اللون على صفته كقولهم : إضر يـج — أرجوان — ورد — بهرمان ... أو صيغة المبالغة مثل خَوَار. (٣١)

٦ — كما استخدمت زيادة المبني للدلالة على المبالغة، أوزيادة المعنى، ومن ذلك : حُلبوب — محلولك — حَلَكوك — حَلَكَم — يحموم — سحكوك — مسحنكك — أَسْحمان — غريبب ...

الصيغ الفعلية :

يكثر في أفعال الألوان الثلاثية المجردة أن تكون من باب فعل يفعل، (٣٢) ويقل أن تكون من باب فعل يفعل، ويندر ما عدا ذلك. يقول سيبويه في الكتاب : «ويكون الفعل (من الألوان) على فعل يفعل، وربما جاء على فَعْل يفعل، وذلك قولك : أديم يأذم .. ومن العرب من يقول : أذم يأذم .. وشهب يشهب وقهب يقهب وكهب يكهب .. وقالوا كهب يكهب وشهب يشهب .. وقالوا صدى يصدأ وقالوا ايضاً صدأ ..» (٣٣)

ومراجعة المعاجم وبخاصة ما جاء تحت ابواب الافعال في معجم «ديوان الأدب» نجد الإحصاء يصدق ما قاله سيبويه. فقد ورد من باب فرح الألوان الآتية : أخطب — أشهب — أكهب — أبغث — أبرج — أخرج — أدعج — أفضح — أقرح — أقلح — أحور — أخضر — أسجر — أسمر — اشقر — أعفر — أغر — أقشر — أكدر — أطلس — ألس — أشمط — أسلع — أخيف — أغضف — أزرق — أشكل — أشهل — أطحل — أكحل — أليل — أحم — أدكن — أظمى — ألى ..

ومن باب كرم : أسمر — أشقر (إلى جانب ورودهما من باب فرح).

ومن أبواب أخرى : غَبَس (لم أجد بابه فيما تحت يدي من معاجم ولعله باب ضرب) وصدأ (من باب فتح).

أما الثلاثي المزيد فيكثر فيه وزنا افعَلَ وافعالَ، ويقل فيه افعلول، ويندر ما عدا ذلك.

وكثيرا ما يستعمل العرب من أفعال الألوان الصيغ المزيّدة، وهملون المجردة رغم استعمالهم في الصفات وزن «أفعل»، مما يدل على أنهم قد يريدون بالصيغ المزيّدة الدلالة على أصل الفعل دون مبالغة أوزيade، وقد يستخدمون للدلالة على اللون الصيغة المجردة والمزيّدة معا.

فمن الأول قولهم: اغبث — املح الكبش — اربث — احمر — اصفر — اغبر — احلس — ابرش — ارقط — ابلق — ارمك — اشعل — ادلم — ادهم — ارثم — اقم — ابيض ..

ومن الثاني قولهم: شهب واشهب واشهب — خرج واخرج — زرق وازرق — سمر واسمر واسمار — بلي وابلق — خضر واخضر — دبس وادبس — رقط وارقط — رمد وارمد — كمت واكمت — سود واسود واسود — شقر واشقر ..

وقد يأتي المزيّد على افعول نحو: ابلولق — اخضوضر — احووى — اخضوضب . والفرق بين افعّل وافعلّ أن الاول يستعمل غالبا للون اللازم، والثاني للون العارض، وقد يغني أحدهما عن الآخر. (٣٤) يقول سيبويه: «واعلم أنهم يبنون الفعل منه على افعال نحو اشهب وادهام .. فهذا لا يكاد ينكسر في الألوان، وإن قلت فيها فيل يفعل أو فعل يفعل . وقد يستغني بافعال عن فيل وفعل وذلك انحو ازارق واخضار واصفار واحمار واشرب وابيض واسود . واسود وابيض واخضر واحمر واصفر أكثر في كلامهم لأنه كثر حذفوه» . (٣٥)

اما وزن افعول فيأتي لقصد المبالغة، ففي الكتاب: «قالوا خشن، وقالوا اخشوشن . وسألت الخليل فقال: كأنهم أرادوا المبالغة والتوكيد .. وربما بنى عليه الفعل فلم يفارقه . ومثال ذلك اقطر النبت واقطار لم يستعمل إلا بالزيادة وإبهار الليل ..» (٣٦)

وعلى هذا يتضح الفرق بين قول العرب: خضر واخضر واخضوضر، وقولهم: زرق وازرق وازراق، وشمط واشمط واشماط، وكمت واكمت وأكمت، وبلق وأبلق وابلولق، وربد واربد وارباد .

كما جاء المزيّد على وزن أفعل قليلا ومنه: أغبس وأكمت ..

رابعاً : أَلْفَاظُ الْأَلْوَانِ وَالْمَصَادِرِ الطَّبِيعِيَّةِ :

استوحى العرب كثيراً من أَلْفَاظِ الْأَلْوَانِ — وتلك ظاهرة عامة في اللغات — من المصادر الطبيعية . والمعادن ، والنباتات ، والموجودات المحيطة بهم ، والمشاهدات الحسية في البيئة التي عاشوا فيها .

وأمثلة ذلك كثيرة نفتضب منها ما يأتي :

النبات :

- من الخُطبان (وهو الخنظل إذا اصْفَرَّ وصار فيه خطوط خُضْر) قالوا : أخطب .
- من التبن قالوا : ثوب مَتَبِّن لما كان يشبه لون التبن .
- من الأرجوان (وهو شجر له نَسْرٌ أحمر) قالوا : أرجوان لصبغ أحمر شديد الحمرة واستخدموا اللفظ كذلك وصفاً لما كان لونه أحمر .
- من الإضرِيج (وهو صبغ أحمر) قالوا : مَضْرَج .
- من القَتَم (وهو شجر له ثمر أحمر) قالوا : معْتَم .
- من الورد قالوا : موزد لما صبغ على لون الورد . وأطلقوا اللفظ نفسه على ما كانت حمرة تضرب إلى صفرة حسنة .
- من القِرْف (وهو لحاء الشجر) ، أو القَرْف (وهو أديم أحمر) قالوا : أحمر قِرْف ، إذا كان شديد الحمرة .
- من الفَوَّة (وهي عروق نبات في رأسه حب أحمر شديد الحمرة) قالوا : المُفَوَّى وهو الأحمر .
- من الشقير (وهو شقائق النعمان) قالوا : أشقر .

المعادن والحجارة :

- من الفحم قالوا : فاحم وفحيم للشديد السواد .
- من المَغْرَة والمَغْرَة (وهي طين أحمر) قالوا : مُمَغَّر إذا كان مصبوغاً بالمغرة .
- من الملح . قالوا : أَمْلَح .

• من الرماد قالوا : أرمَد .

الحيوانات والطيور والحشرات :

• من البرغوث اشتقت البرغثة وهي لون شبيه بالطُحْلة .

• كم الغُراب قالوا : غرابي .

• من الغُداف (وهو الغراب) قالوا : غداقي .

• من ابن عرس قالوا : عِرسي لضرب من الصبغ .

أجزاء البدن :

• من الطحال قالوا : أطحل .

• من القَدَم (الثقيل من الدم) قالوا : المفَدَم ، وهو المشيع حرة ، أو الذي ليست حرته بشديدة .

محسوسات أخرى :

• من الدخان قالوا : أدخن ، وهو ما كان لونه يجمع بين الكدرة والسواد .

• من الصحراء قالوا : أصحر ، وهو ما كان لونه يجمع بين الغبرة والحمرة الخفيفة إلى بياض قليل .

• من الدبس (وهو غسل التمر وعصارته) قالوا : أدبس ، لما كانت حرته مشوبة بسواد .

• من الصَّدَأ قالوا : الأصْدَأ للأسود المشرب بحمرة .

• من الصقالبة (وهم جيل حمر الألوان صُهب الشعور) قالوا : صِقْلاب وهو الرجل الأبيض أو الأحمر .

• من العَفَر والعَفَر (وهو التراب) قالوا : أعفر ، لما جمع بين الغبرة والحمرة .

• من سَفَع النار (لفحها لفحاً يسيراً يؤدي إلى تغيير لون البشرة) قالوا : أسفع .

• من حُمرة الغضب قالوا : أغضب للأحمر الشديد الحمرة (٣٧) .

- من القمر قالوا : أقر للأبيض .
- من الزبرقان (وهو القمر أو ليلة خمس عشرة) قالوا : زبرق ثوبه إذا صفّره .

الهوامش

- (١) انظر Colour and Colour Termonology ص ٢٧ .
- (٢) Basic Colour Terms ص ١٤ وما بعدها .
- (٣) السابق ص ٢٠١ ، و Semantics ص ٢٣٥ .
- (٤) Basic Colour Terms ص ١٠٤ .
- (٥) خرجت الروسية على هذا الطاقم العالمي حيث خصصت للأزرق اسمين : أحدهما للفتاح والآخر للغامق . وكذلك الهنغارية ولكن بالنسبة للأحمر، وبذا صارت كل منها تملك نظاماً ذا اثني عشر لوناً . (انظر Basic ص ٣٥ و Semantics ص ٢٣٧) .
- (٦) Basic ص ١٠٤ و Semantics ص ٢٣٥ .
- (٧) هذه الاحتمالات الواقعية لا تمثل إلا حوالي ١٪ فقط من الاحتمالات الممكنة . انظر Basic ص ٤٠٣ .
- (٨) Basic ص ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٤٦ .
- (٩) Colour ص ٢٢ .
- (١٠) المرجع قبل السابق ص ١٠٤ .
- (١١) انظر ص ٦ .
- (١٢) المخصص ١٠٥/٢ ، ١٠٦ .
- (١٣) الملمع ص ١ .
- (١٤) المرجع ص ٧ .
- (١٥) المرجع والصفحة .
- (١٦) يقول ابن منظور: الغالب على ألوان العرب التمرة والأدمة (اللسان : حمر) .
- (١٧) من الغريب ألا تضم قائمة الألوان الأساسية للعربية اللبناية الحديثة وصفاً للأسمر في حين ضمنت أحد عشر لوناً من بينها الليلاكي والزهري والبرتقالي والرمادي (انظر Basic ملحق رقم ١) .
- (١٨) في اللسان : الورد لون أحمر يضرب إلى الصفرة الحسنة . ويقال : أسد ورد وفرس ورد . وفي القرآن الكريم : فكانت وردة كالدهان ، قال الزجاج : أي صارت كلون الورد .
- (١٩) في اللسان : الأرجوان الحمرة ، الأرجوان الأحمر ، والأرجوان صبغ أحمر شديد الحمرة .
- (٢٠) نكتة المعاجم العربية ١/٢٧٢ .
- (٢١) انظر: لسان العرب — تفسير النسفي — الافصح في فقه اللغة .

- (٢٢) انظر: اللسان (صفر)، والأفصح ١٣٣٢/٢، والمخصص ١٠٥/٢، والملمع ص ٩٧. وفي رد أبي رياش على تفسير ابن قتيبة وأبي عبيدة انظر الملمع ص ٩٧-٩٩.
- (٢٣) انظر لسان العرب والمعجم المفهرس لألفاظ القرآن.
- (٢٤) اللسان (خضر)، والأفصح ١٣٣٢/٢، والمخصص ١٠٦/٢.
- (٢٥) اللسان (حمر)، والمخصص ١٠٩/٢، والملمع ص ٣٤، ٣٥.
- (٢٦) ص ١٩٨، ٢٠١.
- (٢٧) اللسان (بزم)، والإفصح ١٣٣٠/٢.
- (٢٨) لاحظ أن كثيراً من الألفاظ الآتية ذكرت لها المعاجم معاني أخرى إلى جانب ما ذكرناه.
- (٢٩) هناك أوصاف كثيرة وردت في الملمع مثل: أبيض هجان وبض وعض وأبلج (ص ١٨-٢٤).
- (٣٠) داود عبده. نحو الطفل اللغوي.
- (٣١) الخوّارة من النوق ما كان لونها بين الغيرة والحمرة.
- (٣٢) يختص باب فيعل يفعل كما يقول اللغويون المحدثون بالأفعال الإجبارية التي لا اختيار لصاحبها في حدوثها (انظر: من أسرار اللغة ص ٥٤)، وهو ما يناسب الألوان الثابتة.
- (٣٣) الكتاب ٢٥/٤.
- (٣٤) شرح الشافية ١١٢/١. فلا معنى إذن لقول صاحب الإفصاح: اكتهب اللون مبالغة (١٣٣٢/٢، ١٣٣٤) فالمراد بالصيغة الدلالة على عروض الصفة لا على المبالغة. كذلك لا معنى لقول الحملاوي (شذا العرف ص ٢٦): احماز يدل على قوة اللون أكثر من حمر وأحمر.
- (٣٥) الكتاب ٢٥/٤، ٢٦.
- (٣٦) المرجع ٧٥/٤، ٧٦.
- (٣٧) وهناك احتمال آخر: أن يكون مشتقاً من القُضبة وهي الصخرة الحمراء (الملمع ص ٨٦).

مراجع البحث العربية

- ١- ابن الحاجب. شرح شافية ابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت
- ٢- ابن السكيت. تهذيب الالفاظ
- ٣- ابن سيده. المخصص، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت.
- ٤- ابن منظور. لسان العرب.
- ٥- انيس، ابراهيم. من اسرار اللغة، ط ٤، القاهرة ١٩٧٢.
- ٦- بنعبدا لله، عبد العزيز. معجم الالوان.
- ٧- جيري، شفيق. « لغة الالوان » مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ابريل ١٩٦٧.
- ٨- الحملاوي. شذا العرف في علم الصرف.
- ٩- دوزي، رينهارت. تكملة المعاجم العربية، ترجمة وتعليق محمد سليم النعيمي، العراق ١٩٧٨

- ١٠ - سيبويه . كتاب سيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ١١ - عبدالباقي ، محمد فؤاد . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
- ١٢ - عبده ، داود . نحو الطفل اللغوي وعلاقته بنموه الإدراكي ، تحت الطبع .
- ١٣ - الفارابي . ديوان الادب ، تحقيق احمد مختار عمر (الاجزاء ١-٤) ١٩٧٨/١٩٧٤ القاهرة .
- ١٤ - الفيروزآبادي . القاموس المحيط .
- ١٥ - موسى ، حسن يوسف والصعيدى ، عبدالفتاح . الافصح في فقه اللغة .
- ١٦ - النسفي . تفسير النسفي .
- ١٧ - النمرى ، أبو عبدالله الحسين بن علي . الملمع ، تحقيق وجيهة السطل ، دمشق ١٩٧٦ .

مراجع البحث الأجنبية

1. Berlin, B. and Kayp. **Basic colour terms**, London, 1969.
2. Leech, G. **Semantics**, 1974.
3. McNeil, N. B., "Colour and Colour Termonology.", **Journal of Linguistics**, No. 8, 1972.